رد على أسئلة هل القرآن معصوم

مقال بقلم / د. محمد عبد الوهاب محفوظ
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة

أسئلة جغرافية

١- تغيب الشمس في بئر .

أورد الكاتب تفسير البيضاوى لقوله تعالى :" حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً " (١).

حيث يرى البيضاوى أن اليهود سألوا محمدا عن الإسكندر الأكبر فقال : إن الله مكن له في الأرض فسار إلى المكان الذي تغرب فيه الشمس فوجدها تغرب في بئر حمئة ، وحول البئر قوم يعبدون الأوثان ، وسأل معاوية كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب ؟. قال : في ماء وطين .

ويتساءل الكاتب إذا كانت الشمس أكبر من الأرض مليوناً وثلاثين ألف مرة فكيف تغرب في بئر رآها ذو القرنين ، ورأى ماءها وطينها ورأى الناس الذين عندها .

الرد على ذلك :

أولاً : كلام البيضاوى اجتهاد محسوب عليه شخصياً ولا ينسحب هذا على القرآن نفسه ، فإذا قال البيضاوى كلاماً يفسر به آيات القرآن لم ينقله عن النبي ﷺ فهو رأى شخصى له يحاسب هو وحده عليه .

ثانياً : البيضاوى لم يقل في تفسيره أبداً هذا الكلام ، وهذا المنقول عنه أغلبه كذب وافتراء وسوف أذكر هنا نص كلام البيضاوى ليعلم أن الكاتب يدعى كذباً وافتراءً أن البيضاوى يقول : إن الشمس تغرب في بئر ، وهذا كلام البيضاوى في تفسيره بالنص .

" وجدها تغرب في عين حمئة " ذات حمأ من حمئت البئر إذا صارت ذات حمأة ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر في عين حامية أي حارة ... ولعله بلغ ساحل المحيط فرأها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب في عين حمئة " .

وكلام البيضاوى شديد الوضوح وكلامه علمى لا يختلف مع العلم الحديث في شئ فهو يقول : إن ذي القرنين وصل إلى ساحل المحيط وهو أقصى الغرب المعروف في وقته فلم يجد أمامه إلا ساحل المحيط ، والماء ممتد في الأفق والشمس تغرب فيه وكأنها تسقط في ماء المحيط حينما تتوارى عن الأنظار ، وهذا المشهد يظهر لكل من ينظر إلى الشمس وهى تغرب إذا كان على ساحل المحيط .

---

(١) سورة الكهف من الآية ٨٦.

والبيضاوى في كلامه يوضح أن هذا هو ما يبدو للعين لا أنه حقيقة الغروب فهو يقول إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء أي لا يبدو لعينه إلا الماء وكأن الشمس إذا غربت وتوارت سقطت في هـذا الماء الذي لا يرى غيره ، ثم يقول البيضاوى : ولذلك قال:" وجدها تغرب" ولم يقل " كانت تغـرب " وجدها أي أن ذي القرنين خيل إليه بنظره هذا المشهد ولم يقل الله كانت تغرب لأن هذا لـيس هـو الحقيقة .

وأما كلام ابن عباس ومعاوية وكعب الأحبار فقد أورده البيضاوى بعد هذا الكلام ورواه بطريقة تفيـد الضعف حيث قال :" وقيل إن ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية إلى كعـب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب ؟ قال : في ماء وطين كذلك نجده في التـوراة " هـذا كـلام رواه البيضاوى بقول " وقيل " وهى صيغة تدل على الضعف فلم يقل من القائل ثم إنـه أوردهـا بعـد أن وضح رأيه الذي شرحناه سابقاً [٢].

ويقول القرطبى في تفسير هذه الآية في كلام رائع يتفق مع العلم الحديث ولا يضاده فيقول : " لـيس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً ومشرقاً حتى وصل إلى جرمها – أي إلى جسم الشمس – ومسها لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض وهى أعظـم – أي أكبـر مـن أن تدخل في عين من عيون الأرض بل هى أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة ، بل المراد أنه انتهـى إلى آخر العمارة – أي الأرض المسكونة – من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجـدها فـي رأي العين – أي كما ترآى لنظره – تغرب في عين حمئة كما أنّا نشاهدها فى الأرض الملساء كأنها تدخل في الأر ض حينما تغرب .

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية :

" وجدها تغرب في عين حمئة " أي رأى الشمس في نظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهى لا تفارق فلكها فهى مثبتة فيه لا تفارقه .

يتضح من كل ما سبق أن المفسرين المسلمين لم يقولوا أبداً أن الشمس تسقط في بئر عند غروبهـا ، والبيضاوى لم يذكر ذلك أبداً وإنما هو افتراء من الكاتب .

٢- الأرض ثابتة لا تتحرك :

يتساءل الكاتب بعد أن عرض آراء البيضاوى في تفسير قوله تعالى :" وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم فيقول الكاتب : إذا كان واضحاً أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل أربع وعشرين سـاعة وينشأ عن تلك الحركات الليل والنهار ، وتدور حول الشمس مرة كل سنة وينشأ عن ذلـك الـدوران

(٢) انظر تفسير البيضاوى جـ٣ ، صـ ٥٢٠ ، تفسير سورة الكهف .

الفصول الأربعة فكيف تكون الأرض ممدودة مبسوطة ثابتة لا تتحرك ، وأن الجبال تمنعها عن أن تميد ؟.

الـــــــــرد

ونحن نقول له : أين قال البيضاوى : إن الأرض مبسوطة ثابتة لا تتحرك ، إن هذه الجملة لم ترد أبداً في كلام البيضاوى ولا غيره من المفسرين حتى في الكلام الذي نقله من تفسير البيضاوى لم يرد هذا النص . معنى ذلك أنه يكذب ويدعى زوراً أن البيضاوى يقول : إن الأرض ثابتة لا تتحرك وهذا شئ لم يقله البيضاوى وإنما قال : إن الأرض لولا الجبال لمادت بالناس ، ومعنى مادت أي اضطربت وتحركت حركات غير منتظمة ولا ثابتة وإنما الجبال تثبت الأرض ، وتجعل حركتها حول محورها ثابتة ومنتظمة وفي اتجاه واحد وقول البيضاوى الذي نقله الكاتب : أن الجبال صارت كالأوتاد التى تمنعها عن الحركة معناها أن الجبال منعت الأرض عن حركتها المضطربة غير المستقرة وثبتت الأرض وجعلتها لا تتحرك لأدنى سبب وإنما تدور كالأفلاك حول نفسها . وكلام البيضاوى يعنى ذلك حيث يقول : إن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة – أي تدور – كالأفلاك ، أو أن تتحرك بأدنى سبب للتحريك . أي أنها لخفتها كان يمكن أن تدور حول نفسها أو أن يحركها أي محرك فتضطرب ، فلما خلقت الجبال ثبتتها فلا تتحرك لأدنى سبب وإن بقى دورانها حول محورها موجوداً ، ثم إن البيضاوى ليس رسولاً ولا إلهاً وعلى فرض أنه أخطأ في تفسير الآية فهل يحسب خطأه على القرآن أم على نفسه ؟!. وإذا سلمنا أن كلام البيضاوى خطأ فإنه ربما لقصور العلم في هذا العصر أو أنه يفسر الآية حسب معتقدات عصره .

ثم إن البشرية لن تنسى أبداً ما فعلته الكنيسة بكوبرنيكوس حينما ادعى أن الشمس هى مركز المجموعة الشمسية وليست الأرض كما كان يُعتقد قبله ، فتدخلت الكنيسة وأجبرته على التراجع عن ذلك وعاقبته عقاباً أليماً وأحرقت كتبه ثم اكتشفت البشرية بعد ذلك أن كوبرنيكوس كان محقاً فهل يحسب خطأ الكنيسة على كتاب النصارى المقدس أم أنه اجتهاد خاطئ لرجال الدين ؟.

٣- النجوم رجوم للشياطين :

يعترض على تفسير الكواكب على أنها رجوم للشياطين أي شهب ترجم الشياطين إذا أرادوا استراق السمع والتجسس على أهل السماوات ، وينقل كلام البيضاوى في تفسير قوله تعالى :" ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين " وقوله إن المصابيح هى الكواكب المضيئة بالليل ... وجعل لها فائدة أخرى هى رجم أعدائكم وكذلك تفسيره لقوله تعالى :" فأتبعه شهاب ثاقب " . فيعترض الكاتب ويتسائل إذا كان كل كوكب هو عالم ضخم والكواكب هى ملايين العوالم الضخمة

تسبح على أبعاد شاسعة في فضاء لا نهائى فكيف تتصور الكواكب كالحجارة يمسك بها ملاك في حجم الإنسان ليضرب بها الشيطان منعاً له من استماع أصوات سكان السماء ؟ وهل كل هذه الأجرام السماوية خلقت لتكون ذخيرة أو عتاداً حربياً كالحجارة لرجم الشياطين حتى اشتهر اسمه بالشيطان الرجيم وكيف يحفظ توازن الكون إذا سارت الكواكب في غير أفلاكها ؟.

الـــــــرد

أولاً : نعترض على قوله : إن الملاك بحجم الإنسان فمن قال له ذلك ؟ إن حجم الملائكة لا يعلمه إلا الله وحينما رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام على صورته في السموات وجده قد سد ما بين المشرق والمغرب هذا أولاً ، أما ثانياً : فمن أين فهم الكاتب أن الكواكب هى الشهب ؟. إن البيضاوى لا يدعى ذلك جزماً وإنما يقول : إن الكواكب جعلت حفظاً من كل شيطان مارد يرمى بالشهب أي أن الكواكب تقذف شهباً منها على الشيطان المتمرد الذى يبغى التصنت على أهل السموات فتحرقه ، فليس الكوكب بذاته هو الذي يقذف به الشيطان وإنما لهب من النار منه ينزل على الشيطان فيحرقه وهذه ظاهرة لا ينكرها إلا معاند فملايين الشهب تضرب كل يوم في كل جوانب الكون وتشاهدها الأبصار البشرية وهذا تصديقاً لقوله تعالى :" شهاب مبين " أي بين وواضح يبصره كل ذى بصر ونسأل الكاتب ألست ذا بصر ؟ ألم تر يوماً شهاباً ساقطاً من السماء في سرعة البرق فهذا هو الشهاب الثاقب المحرق لمتمردى الشياطين . والبيضاوى يحكى قول من قال : إن الشهاب هو بخار يصعد إلى الأثير فيشتعل ويقول : هذا تخمين إن صح لم ينافِ ذلك . فالبيضاوى لا يقول إن الشهاب هو الكوكب ولا يمنع قول القائلين بأن الشهاب مصدره نار من الأرض أو بخار يصعد ويتحول إلى نار في طبقات الجو العليا . المهم أن الشهب حقيقة واقعة يبصرها كل إنسان بسهولة ويسر وهذا القدر كافٍ ، أما الاختلاف حول حقيقة الشهب فهذا زائد عن المطلوب .

٤- السموات السبع والأراضى السبع .

يعترض على تفسير البيضاوى لقوله تعالى عن السماء وكونها " سقفاً محفوظاً " فقد قال : البيضاوى : أي محفوظاً من الوقوع بأمر الله وفسر قوله تعالى :" وما لها من فروج " [٣]
بأنها فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق يقول الكاتب بعد ذلك وواضح من هذه الآيات مع تفسير البيضاوى لها أن الله خلق السماء التي فوقنا وهى سقف أملس واسع وفوقه ست سموات كالسقوف بعضها فوق بعض وخلق الأرض التي نحن عليها وست أراضٍ مثلها فجملة السموات والأراضى أربعة عشر .

---

[٣] من الآية (٦) من سورة ق .

ثم يقول الكاتب : ونحن نسأل كيف يقول عن الفضاء المتسامى سماواً غير متناهى فوقنا إنه سقف أملس قابل للسقوط ، وأنه يوجد سبعة سقوف من هذا النوع وأن ملايين الكواكب التي تسبح في الفضاء غير المحدود مصابيح مركزة في هذا السقف الموهوم ؟. وكيف يقول : إن أرضنا وهى واحدة من ملايين الكواكب والسيارات والأقمار والشموس يوجد سبعة مثلها ؟.

الـــــــرد

نقول : إن كون السماء سقفاً وأن الله حفظها من الوقوع أمر ليس للعلم مجال فيه ، فإن العلم لم يصل إلى نهاية الكون ، ولم يصل إلى السماء ومعرفة كنهها ولن يصل إلى ذلك مهما تطورت أدوات البحث وتطورت سبل الانتقال في الفضاء فكل ما يمكن للإنسان الوصول إليه الانتقال من كوكب إلى كوكب وبشق الأنفس ، شريطة ألا يكون بعيداً عنه بمقدار سحيق فالإنسان حتى الآن رغم التطور العلمى والتكنولوجى الهائل لم يستطع حتى أن يصل إلى كواكب في نفس مجموعتنا الشمسية فما بالنا بما هو خارج عن مجموعتنا وما بالنا بما هو خارج عن مجرتنا التي تحوى بلايين المجموعات التي تشبه مجموعتنا ، إن كل ذلك تحت عالم السماء أما عالم السماء نفسه فلن يبلغه إلا من أراد الله ولذلك فإن مصدر معلوماتنا عن السماء هو خالق السماء وحده ؛ لأنه أعلم بخلقه فإذا ما أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن السماء سبع سموات قلنا سمعاً وطاعة ، وعلى المعترض أن يثبت أنها أقل أو أكثر عن سبعة إن استطاع بدليل لا يقبل الشك ، ثم إنه يتسائل كيف يقول : إن الفضاء اللانهائى سقف أملس قابل للسقوط ؟ ونحن نقول له : إن القرآن لا يتحدث عن الفضاء الذي تحكى عنه إنه يتحدث عن السماء ، وهى أمر لم يطلع عليه أحد لينكر كونه سقفاً أم لا ، وقد صرح بعض الفلاسفة بأن المرئى لنا من السماء ما هو إلا كرة البخار وليست السماء وأن السماء بعدها . ثم إن النصارى مقرون بأن السماء فيها عرش الله وأن يسوع يجلس على عرش أبيه في السماء ، وأن الملائكة فيها وهذا بظاهره يدل على أن السماء عالم علوى يعلو العالم السفلى بفضائه الفسيح ولو شاء الله لأسقط السماء وما فيها على الفضاء السفلى فهى محفوظة بقدرته سبحانه وتعالى أن تقع على العالم السفلي بما فيه وقد قال بعض المفسرين : إن السقف هنا على المجاز وليس على الحقيقة فالسماء تشبه السقف . وأما قوله كيف تكون الكواكب مصابيح مثبتة في السماء ؟ فإننا نقول له : إن أحداً من المسلمين لم يقل إن الكواكب هى مصابيح مثبتة في السماء ، وإنما قالوا : إنها تترآى لنا كما لو كانت قناديل معلقة في السماء فهذا تشبيه لها بالمصابيح ، والبيضاوى نفسه يقول : إن الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها – أي على صفحة السماء – فإذا كنت تفهم العربية جيداً فستعلم أن (كأن) هنا (أداة تشبيه) أي أن الكواكب تبدو للناظر مثل المصابيح المعلقة في سقف السماء .

أما عن الأرض وكونها سبع أراضين فإن هذا قد تعرض له كثير من المفسرين ، وأصح ما قيل فيها من وجهة نظرى أن الأراضى طبقات بعضها فوق بعض وهى سبع طبقات متلاصقة ، وقد كانت السماء كذلك إلا أن الله سبحانه وتعالى فتق السماوات وجعلها سبعاً أما الأرض فظلت طبقاتها متصلة ومن المفسرين من قال : إن المقصود بالأراضى السبع أن الأرض مقسمة إلى سبعة أقاليم مختلفة .

ومنهم من قال : – وهو غير بعيد – أن الله سبحانه وتعالى خلق سبع أراضين مثل الأرض أى كواكب تشبه الأرض من حيث كونها صالحة للحياة عليها ولكننا لا نعلم عنها شيئاً وهذا أمر لا يستبعده العلم الحديث فلا زالت الأبحاث تتوالى ولا زال العلماء ينقبون عن مخلوقات في كواكب أخرى وينفق على ذلك أموال طائلة من قبل المؤسسات المهتمة بأبحاث الفضاء ، مما يدل على عدم استبعاد فكرة وجود عوالم مثل الأرض مأهولة بالسكان .

٥- الرعد ملك من الملائكة .

يروى الكاتب كلام البيضاوى عن ابن عباس أن النبي ﷺ سئل عن الرعد فقال : ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب " ، ويتسائل الكاتب إذا كان الرعد هو الكهرباء الناشئة عن تصادم السحاب فلماذا يقول : إن الرعد هو أحد الملائكة ؟.

الـــــــرد

من الواضح أن الكاتب يخلط بين الرعد والبرق فالذي يقوله من أن الرعد هو الكهرباء الناشئة عن تصادم السحاب ، نقول لك : إن ذلك الذي تحكى عنه هو البرق وليس الرعد هذا أولاً ، أما ثانياً : فإن الأحاديث الواردة في هذا الموضوع أن الرعد ملك من الملائكة أي أن الله وكل بالسحاب أحد الملائكة كما وكل غيره من الملائكة بأشياء أخرى كالرياح مثلاً والأرواح وغير ذلك ، وهذا لا تختلف فيه الأديان .

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما أخرجه البيهقي في سننه عن عكرمة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ :" الرعد ملك من الملائكة وُكِّل بالسحاب يسوقها كما يسوق الراعى الإبل " أي أن الله وكله بأمر السحاب يسوقها إلى الأرض التي أراد الله سبحانه وتعالى أن ينزل المطر فيها .

وهو يسبح ربه كما تسبحه جميع المخلوقات وهذا أيضاً محل اتفاق بين الأديان ،فقد ورد في الكتاب المقدس النص التالي :

" سبحوا الرب من السموات سبحوه في الأعالى سبحوه يا جميع ملائكته سبحوه يا كل جنوده سبحيه يا أيتها الشمس والقمر سبحيه يا جميع كواكب النور سبحيه يا سماء السموات ويا أيتها المياه التي فوق السموات لتسبح اسم الرب لأنه أمر فخلقت وثبتها إلى الدهر والأبد ... سبحى الرب من الأرض يأيتها التنانين وكل اللجج النار والبرد الثلج والضباب الريح العاصفة كلمته الجبال وكل الآكام الشجر

المثمر وكل الأرز الوحوش وكل البهائم الدبابات والطيور ذوات الأجنحة ملوك الأرض وكل الشعوب الرؤساء وكل قضاة الأرض الأحداث والعذارى أيضاً والشيخ من الفتيان ليسبحوا اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده مجده فوق الأرض والسموات[٤].

فهذا كلام كتابكم المقدس يؤيد ما ذكره القرآن من أن كل شئ يسبح بحمد الله والرعد من ضمن هذه الأشياء فصدق الله حيث قال :" ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .."[٥].

فخلاصة القول أن للرعد ملك موكل به وبالسحاب هذا عمله الذي أوكله الله إليه وأي غرابة في هذا فالمعلوم أن الموت يحدث بفساد الجسد ومفارقة الروح للبدن ومع ذلك فقد وكل الله بقبض هذه الأرواح ملك من الملائكة هذه مهمته فكذلك الرعد والرياح وغيرها أَوْكَلَها الله إلى الملائكة يصرفون أمرها بأمر الله سبحانه وتعالى .

٦- الوادى طوى .

يذكرقوله تعالى في سورة (طه) :" إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى ".

ثم ذكر أن المفسرين المسلمين قالوا : إن طوى اسم الوادى ولكن الكتاب المقدس يقول : "إن موسى ساق الغنم إلى ما وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب " ثم يقول : إذاً موسى كان في جبل الله حوريب فمن أين جاء القرآن باسم طوى مع أن حوريب اسم جبل مشهور في شبه جزيرة سيناء .

الـــــرد

إن هذه الشبهة من وجهة نظرى شبهة واهية جداً ؛ لأن الكاتب يتكلم عن شئ والمفسرون يتكلمون عن شئ آخر تماماً وقد نقل هو نفسه في كلامه هذا . فالمفسرون المسلمون يتكلمون عن الوادى الذي يقع فيه الجبل المذكور والكاتب يتكلم عن الجبل نفسه فهما شيئان لا شئ واحد .

جاء في كتاب الإتقان في علوم القرآن أن طوى اسم الوادى وسمى طوى لأن موسى طواه ليلاً – أي مشى فيه وانتهى منه بالليل – وكذلك ورد هذا الكلام في صحيح البخارى [٦] . ويقول البيضاوى : وادى طوى وفيه الطور أي أن جبل الطور موجود في وادى اسمه وادى طوى ، إذاً كلام المسلمين ليس عن الجبل وإنما عن الوادى الذي يضم عدة جبال منها الجبل الذي ورد في الكتاب المقدس وحتى في النص الذي أورده الكاتب من الكتاب المقدس نجد ذكراً للوادى الذي مر فيه موسى دون أن

---

(٤) مزمور : ١٤٨ .

(١) من الآية (١٣) من سورة الرعد .

(٢) صحيح البخارى جـ ٤ ، صـ ١٧٦٣ .

يذكر اسمه في النص فهو يقول : ساق الغنم إلى ما وراء البرية ، وجاء إلى جبل الله حوريب أي أنه سار في الوادى الذي هو وادى طوى حتى بلغ الجبل الذي ظهر له فيه ملاك الرب فليس هناك خلاف بين القرآن والكتاب المقدس هنا ؛ لأن القرآن ذكر اسم الوادى بينما الكتاب المقدس ذكر البرية ولم يذكر لها اسماً .

وقد ورد كثير من التفاسير أن طوى ليس اسماً للوادى وإنما الله سبحانه وتعالى يخبر أن موسى مر بالوادى المقدس وطواه ، فأخبر أنه طواه أي تجاوزه ووصل إلى الجبل فليس طوى هنا اسماً للوادى أصلاً وهذا اجتهاد مقبول ثم إن كل هذه الأقوال اجتهادات من المفسرين فإن أخطأ أحدهم فخطأه على نفسه لا على القرآن في ذاته .

٧- الزيتون في طور سيناء .

يعترض على ما جاء في القرآن في قوله تعالى :" وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين " [٧] .

ويروى قول المفسرين (المراد بالشجرة هنا الزيتون وبالصبغ أي الآدام الذي به يصطنع الخبز)

ثم يتسائل الكاتب لم تشتهر صحراء سيناء الجرداء بشجر الزيتون ألم يكن الأجدر أن يذكر فلسطين بزيتونها لا سيناء التي من قحطها أرسل الله لبنى اسرائيل فيها المن من السماء ؟.

الـــــــرد

نقول : سيناء لا تخلو من الزرع فكثير من الزراعات تفلح فيها ، وشجر الزيتون من الأشجار التى لا تحتاج إلى كثير عناية ورعاية وسقى وقد قال القرطبي : إن الله أفرد شجرة الزيتون بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد وقلة تعاهدها بالسقى والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار أي أن شجرة الزيتون لا تحتاج إلى جهد كبير أو سقى كثير مثل بقية الأشجار ولا يبعد أبداً أن تكون منطقة الوادى الذي فيه جبل الطور مما يصلح فيها زراعة الزيتون ، ونحن نعلم أن هناك أماكن ربما تكون في الماضى مثمرة ويكثر فيها الزرع ثم يتبدل المناخ فتقحط ويجدب زرعها فلعله في أيام موسى كان الزيتون منتشراً في هذا الوادى وهذا لا يمنع من أن الله أنزل عليهم المن والسلوى في سيناء لأن الزيتون لا يقيم أود الإنسان وحده .

ثم إن كثيراً من المفسرين ذكر في هذه الآية أن الموضع المذكور هو في الشام فعلاً فقد جاء في معجم البلدان : سيناء هى موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال : طور سيناء وهو كثير الشجر وهو الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران ونودى فيه [٨].

---

(٧) سورة المؤمنون الآية (٢٠) .

(٨) معجم البلدان جـ ٣ / ٣٠٠.

وقال الجوهري:طور سيناء جبل بالشام وهو طور أضيف إلى سيناء وهو شجرة وكذلك طور سنين [٩].

وذكر بعض العلماء أن الطور هو الجبل المشرف على نابلس في فلسطين وبلسان النبط كل جبل يقال له طور فإذا كان عليه نبت وشجر ، قيل طور سيناء فكلمة طور سيناء تطلق على كل جبل عليه شجر ومنبت وليس مكاناً واحداً معيناً .

وقال القرطبي:وطور سيناء من أرض الشام . وقد جاء في الكتاب المقدس " سينا في القدس "[١٠] فهذا نص يوضح أن سيناء مكان في القدس .

وقال بعض المفسرين : إن سيناء كلمة تعنى الحسن ، وعلى هذا فمعنى وشجرة تخرج من طورسيناء أي في جبل حسنة المنظر .

٨- جريان الشمس .

يعترض على ما ورد في بعض التفاسير كالبيضاوى من أن الشمس تجرى لمستقر لها ، قال البيضاوى : أي لحد معين ينتهى إليه دورها ....إلخ ، ثم قال : ونحن نسأل الشمس ثابتة تدور حول نفسها ولا تنتقل من مكانها والأرض هى التي تدور حولها فكيف يقول القرآن إن الشمس تجرى وأن لها مستقراً تسير إليه ؟.

الـــــــرد

نقول للكاتب : إن قولك إن الشمس ثابتة لا تتحرك يدل على عدم فهمك لهذه القضية ، ذلك أن للشمس ثلاث حركات ، أولاً : حركتها المستمرة حول محورها ثانياً : حركتها مع المجموعة الشمسية حول المجرة ، ثالثاً : حركتها مع المجرة في الفضاء . وهى في كل ذلك تجري كما تجرى جميع الأجرام الفضائية التي لا تعرف السكون هذا أولاً .

أما ثانياً : فإن كثيراً من علماء المسلمين قالوا: إن معنى قول الله تعالى :" والشمس تجرى لمستقر لها " أي تجرى وتتحرك حتى يأتى يوم تستقر فيه وتستقر فيه كل أجرام الكون وذلك يوم القيامة حينما ينتهى هذا الكون ، أي أن الشمس وغيرها من الكواكب والنجوم سيأتى عليها يوم وتنتهى حركتها وتفسد ، وهذا ما أثبته العلم .

ثم إننى بالنظر في الآية وجدت أمراً عجيباً يتفق تماماً مع ما قرره العلم الحديث وذلك أن العلم الحديث يقول : إن الشمس تتحرك حركة دائمة حول محورها ولا تنتقل من مكانها في المجموعة الشمسية وإنما الكواكب الأخرى هى التي تدور حولها ، والآية قد قالت هذا بوضوح ، فالآية تقول :"

---

(٩) معجم البلدان جـ ٤ / صـ ٤٨.

(١٠) سفر المزامير ، مزمور ٦٨ / ١٧ .

والشمس تجري لمستقر لها " أي أنها تتحرك في مستقرها بمعنى أنها لا تنتقل ولا تتحرك حول شـــئ في مجموعتها وإنما هى مستقرة في مكانها تدور حول محورها ، وتدور كواكب المجموعة الشمســية حولها ؛ لأنها مركز هذه المجموعة فالآية هنا تسجل اعجازاً للقرآن سبق به العلم الحديث بمراحل .

أســئلة تاريخـــية .

١- هامـــان وزيــر فرعـــون .

يقول القرآن : إن هامان كان وزير فرعون بينما يثبت التاريخ أن هامان كان وزيراً لاحشويرش وأن بين فرعون وهامان زهاء ألف سنة ثم إن فرعون كان ملك مصر وكان هامان وزيراً في بابل ومـــا أبعد الزمان والمكان بين فرعون وهامان فكيف يكون هذا وزيراً لذاك ؟ ويقول سفر استر في التوراة إن هامان كان وزيراً وخليلاً لاحشويرش ملك الفرس الذي يدعوه اليونان زريمس .

الـــــــرد

إن هذه شبهة واهية فهامان هذا على فرض كونه اسم علم يمكن أن يسمى به أناس كثيرون فلا مـــانع من أن يكون هناك هامان في فارس أو بابل وهامان في مصر ما المانع في ذلك ؟ ثم إن المـــؤرخين يقولون : إن كلمة (هامان) ليست اسم علم إنما هى لقب على من يتولى الوزارة ولعله انتقـــل مـــن الفرس إلى المصريين ، أو من المصريين إلى الفرس خاصة أن الفرس جاءوا إلى مصر غزاة تحت اسم الهكسوس . فهامان ليس اسماً لشخص وإنما هو منصب ، فكل من تولى الوزارة كـــان يســـمى هامان كما أن كل من كان يحكم مصر في هذه الفترة كان يسمى فرعوناً فليس فرعون اسماً لشخص وكذلك هامان ، وهذا كان معروفاً في هذا الوقت من التاريخ وما بعده ، فكل من تولى الحكـــم فـــي فارس كان يسمى كسرى ، وفي الحبشة كان يسمى النجاشى وعند الرومان كان يسمى قيصراً وعنـــد المصريين كان يسمى فرعوناً وهكذا فأسماء المناصب هذه كانت منتشرة في تلك العصور وما بعدها.

٢- قارون وهامان مصريان.

يذكر الكاتب قول الله تعالى :" وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات " وقولـــه تعـــالى :" ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب" ثم يقول : يتبادر إلى الذهن من هذه الآية أن قارون وهامان مصريان من قوم فرعون وأنهما مع فرعون قاوموا موسى في مصر ولكن هذا خطأ ؛ لأن قارون إسرائيلى لا مصري ومن قوم موسى لا من قوم فرعون كمـــا أخبـــر القرآن في سورة القصص :" إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم "[١١].

---

(١١) سورة القصص الآية ٧٦ .

الـــــــرد

من أي آية فهم الكاتب أن قارون كان مصرياً ، هل ذكر القرآن ذلك ؟ اللهم لا ، فالقرآن يذكر في وضوح تام لا خفاء فيه أن قارون إسرائيلى من قوم موسى كما جاء في الآية " إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم " .

فالآيات التي ذكرها الكاتب ليس فيها إلا أن الله أرسل موسى إلى فرعون وهامان وقارون ، ولم يقل إن قارون كان مصرياً إنما ما يفهم من الآيات أن قارون كان يعيش مع فرعون وهامان في المكان الذي بعث فيه موسى إليهم وهو أرض مصر ، وهذا أمر ثابت لا يستطيع أحد أن ينكره فالإسرائيليون جاءوا إلى مصر مع سيدنا يعقوب في زمن يوسف وظلوا بها حتى خرج بهم موسى من مصر وهذه حقائق ثابتة ، وإن كان للكاتب اعتراض على هذه الحقائق التاريخية فليأتنا به مع الدليل .

٣-العجل الذهبى من صنع السامرى .

يعترض الكاتب على كون السامرى هو الذي صنع العجل لليهود كما يخبرنا القرآن :" فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار " [١٢] ويتسائل قائلاً : السامرة مدينة في فلسطين لم يكن لها وجود لما خرج بنو إسرائيل من مصر وسافروا حتى سيناء فعمل لهم هارون العجل الذهبي كطلبهم فكيف يصنع سامري لهم العجل قبل أن يكون للسامريين وجود ؟.

الـــــــرد

نقول له : إنك تدعى أن هارون هو الذي صنع لهم العجل ، فهل يليق بنبى من أنبياء الله أن يصنع عجلاً ليعبد من دون الله ، هل هذا جائز عندكم ؟!! هذا أولاً .

أما ثانياً : فإن مدينة سامراء لم يكن لها وجود هذا صحيح ولكن السامريين كسبط من أسباط بنى إسرائيل أو كقبيلة أو كعشيرة كانت موجودة ومعروفة ، وكان اليهود يطلقون على الضال أنه سامرى لما كان بينهم وبين السامريين من عداوة ، ونحن نقول للكاتب : إذا لم يكن للسامريين وجوداً كما تقول فكيف ورد النص التالى في إنجيل يوحنا ؟

قال علماء اليهود لعيسى عليه السلام : " إنك سامرى وبك شيطان " [٣]

فكيف عرف اليهود إذاً كلمة سامرى هذه التي وردت في الإنجيل قبل وجود مدينة سامراء .

إن هذا يدل دلالة واضحة على أن جنس السامريين كان موجوداً وكان مضرب المثل في الضلال عند اليهود يقول القرآن : إن السامرى هو الذي صنع العجل معناه أن ضالاً مضلاً قد صنع لهم العجل .

---

(١٢) من الآيتان ٨٧ ، ٨٨ من سورة طه .

وليس هارون كما تدعون .

٤- يعترض على أن القرآن يذكر أن إبراهيم أبوه آزر والصواب تاريخياً أن والد إبراهيم اسمه تارح كما جاء في سفر التكوين (٤).

الـــــــــرد

إن المفسرين المسلمين أجمعوا تقريباً على أن آزر ليس والد إبراهيم وإنما أبوه تارح كما ورد في تفسير البيضاوى حيث يقول : إن أباه هو تارح ، كما في كتب التاريخ وقد يكون آزر اسم آخر لتارح فيعقوب مثلاً يسمى يعقوب ويسمى إسرائيل وقيل أبوه تارح وآزر وصف معناه الشيخ أو المعوج فآزر على هذا ليس اسم علم وإنما هو وصف . وقيل : إن آزر اسم لصنم كان يعبده تارح فلقب به للزوم عبادته . وفي تفسير القرطبى ليس بين الناس اختلاف في أن اسم والد إبراهيم تارح والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر ، وقيل آزر عندهم ذم في لغتهم كأنه قال " وإذ قال لأبيه يا مخطئ أتتخذ أصناما آلهةً .

وقال الضحاك : اسمه آزر وتارح ، فله اسمان كما كان ليعقوب اسمين . وقال أيضاً : إن معنى آزر الشيخ الهرم بالفارسية وعلى ذلك فلا اختلاف بين القرآن وبين الكتب التاريخية .

٥-يعترض على قول القرآن :

إن مريم هى ابنة عمران وأنها أخت هارون بينما الإنجيل يقول : إن مريم العذراء بنت هالى كما في لوقا فكيف يقول القرآن أنها بنت عمران أبى موسى النبي وأنها أخت هارون مع أن بينها وبين عمران وهارون وموسى ألف وستمائة سنة .

الـــــــــرد

لقد سئل رسول الله ﷺ يوماً هذا السؤال فأجاب عنه في حديث له وإليك الحديث :

أخرج مسلم وغيره عن المغيرة بن شعبة قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى نجران وهم نصارى فقالوا : أرأيت ما تقرأون " يا أخت هارون " وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم " . فهذا الحديث واضح في الرد على هذه الشبهة القديمة الحديثة ، فأهل هذا الزمان كانوا يسمون الصالحين بأسماء الأنبياء والصالحين قبلهم فقول القرآن :" يا أخت هارون " يعنى أن القوم استنكروا منها بأن تأتى بولد بدون زواج وهى أخت هارون في الصلاح والتقوى وكذلك فإن مريم من نسل هارون .

وقد قال الإنجيل الذي في أيدى النصارى : إن الياصبات _ من بنات هارون ومعلوم أن الياصبات زوجة زكريا وأم يحيى هى أخت مريم أو ابنة خالتها أو قريبتها على اختلاف بين المؤرخين وكانت معاصرة لها وبين الياصبات وبين هارون نفس المدة التي بينه وبين مريم وإليك النص : جاء في

إنجيل لوقا :" كان في أيام هيرودس ملك اليهود كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون واسمها الياصبات [١٣] . فإذا صح أنها قريبتها فهما إذاً من نسل هارون ولم يرد في الإنجيل أن مريم بنت هالى كما أشار الكاتب ، وإنما ما ورد في الإنجيل " ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف ابن هالى " وهذا لا يدل على أن هذا هو نسب مريم ، وإنما هو نسب يوسف النجار أو المسيح حسب ما ورد في النص وكيف ينسبون المسيح إلى يوسف ابن هالى وفي الإنجيل أنه لا أب له ، ولا سبط له فهذا تخبط !!. وكيف يكذبون القرآن بنسب يقول صاحبه : إنه نسب مظنون " على ما كان يظن " .

٦-يعترض على أن القرآن قال عن يوسف أنه هم بالفساد

" ولقد همت به وهم بها " أي قصد مخالطتها وقصدت مخالطته ، والهم بالشئ قصده والعزم عليه .وهذا القول يناقض ما ورد في الكتاب المقدس الذي يقول : إنه لما طلب منه الشر استنكر طلبها وقال : كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله ، ولما أمسكت بثوبه تركه معها وهرب " [١٤] .

الـــــــرد

إن المفسرين المسلمين قد وضحوا أن امرأة العزيز همت بيوسف تراوده وتريده أن يواقعها وهم هو بها يدفعها عن نفسه ويتباعد عنها ، فكان أول ما قاله لها حينما عرضت عليه ذلك أن قال لها : " معاذ الله " يقول الله تعالى :" وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى " [١٥].

وكيف يظن أن يوسف هم بها ليفعل الفاحشة بينما هو يهرب منها ويستعيذ بالله وتجزبه هى من خلف ظهره مما يدل على أنه كان يهرب من أمامها ، فهى همت به تطلبه وهم هو بها يدفعها عن نفسه ويهرب منها .

وقد قال الرازى في ذلك : إن كل من له تعلق بهذه المسألة شهد ليوسف بالبراءة ، فالزوج والشاهد والنسوة والملك شهدوا له بذلك ،ويوسف ادعى البراءة وأقر له خصمه – امرأة العزيز– مرتين وشهد بذلك رب العالمين فالشاهد قال :" وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين " وقد وجد القميص مقطوع من دبره أي من الخلف ، فأقر الشاهد ببراءته . وأما زوجها فقد قال لها بعد أن تبين صدق يوسف :" إنه من كيدكن " أي أن هذا ظلم ومكيدة منك أنت ، أما يوسف فبرئ من ذلك.

---

(١٣) انظر الإصحاح الأربع والعشرين من سفر أخبار الأيام أيضاً .

(١٤) سفر التكوين ٣٩ / ٩ .

(١٥) سورة يوسف الآية (٢٣) .

وأما النسوة فقد قلن حينما سألهم الملك :" ما علمنا عليه من سوء " أي ما علمنا أن يوسف عمل سوءاً ، وأما الملك فقد قال ليوسف :" إنك اليوم لدينا مكين أمين " فكيف يصفه بالأمانة إن لم يكن مقتنعاً ببراءته وأما ادعاء يوسف للبراءة فقد قال :" هى راودتنى عن نفسى " ، وأما زوجة العزيز فقد أقرت بذنبها وببراءته مرتين فقالت للنسوة كما حكى القرآن :" أنا راودته عن نفسه فاستعصم " أي رفض رفضاً قاطعاً ، وفي مكان آخر قالت :" الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين" وأما شهادة رب العالمين فقد قال :" إنه من عبادنا المخلصين " فكيف يصفه بذلك إذا كان هم بالمعصية .

مما سبق يتبين أن يوسف لم يسجل عليه ذنب قط في هذه الحادثة والكل قد شهد ببراءته وصدقه وعدم اتيانه بالذنب .

٧-نوح يدعو إلى الضلال .

يعترض على قول الله تعالى على لسان نوح :" ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً " ويتسائل كيف يدعو نوح ربه أن يزيد الناس ضلالاً كما أن الله ليس مصدر الضلال ونوح نفسه لا يحب الضلال فالتاريخ المقدس يشهد له : " كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله ".

الـــــــــرد

نقول : إن نوحاً ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وهو طيلة هذه المدة صابر على أذاهم وعلى ضلالهم وعلى تكذيبهم وكان على استعداد أن يصبر أكثر إلا أن الله سبحانه وتعالى أخبره أنه لن يؤمن أحد من قومه إلا من قد آمن بالفعل ، وهنا علم نوح أن الله سبحانه وتعالى لا يريد لهم الهداية فكان أن دعى عليهم وعلى الظالمين خاصة منهم بالضلال ثم إن قول الكاتب : إن الله سبحانه وتعالى ليس مصدراً للضلال قول غير دقيق ؛ لأنه لا يحدث في ملك الله شئ لا يريده فبإرادته يضل من يشاء ويهدى من يشاء سبحانه هذا شأنه ، ولو كان الشر و الضلال صادراً عن الإنسان نفسه لكان هناك أشياء تحدث في ملك الله بغير إرادته .

وعودة إلى دعوة نوح على قومه فإننا نلاحظ أنه دعا على الظالمين منهم وهذا ليس عيباً ، ففي الكتاب المقدس هناك نصوص فيها دعاء على الظالمين ، ففى المزمور الثامن عشر جاء ما يلى :" من الرجل الظالم تنقذنى مثل طين الأسواق اطرحهم " .

فهذا دعاء بالهلاك على الظالمين .ثم إن كاتب المقال يقول : إن نوحاً كان رجلاً باراً كما يشهد له الكتاب المقدس ونحن نقول : إن الكتاب المقدس ينسب إلى نوح أنه شرب الخمر وسكر وتعرت عورته ، فهل شرب الخمر والسكر وتعرية العورة من البر عندكم ؟؟!!

ونحن نقول : إن هذا الذي نسبتموه إلى نوح ضلال وكذب فهذا نبي معصوم لا يصـــدر عنـــه هـــذه الدناءات .

مقال بقلم / د. محمد عبد الوهاب محفوظ
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة